

الترادف في القرآن الكريم

أ.د. سيد علي ميرلوحى و د. سيدة ريحانة ميرلوحى

الملخص

إنّ البحث عن الترادف من البحوث التي قد شغلت بال علماء اللسانيات واللغة قدامائهم و جددهم بين مثبتين ومؤيدين ومُنكرين ومُخالفين. والباحثان في البداية يأتیان بموجز آراء كلا الطرفين من القدماء والمعاصرين وحججهم وبراهينهم، ثم يستخلصان منها ما بدا لهما أضح وأرجح. ثم يدخلان في صميم الموضوع وهو الترادف في القرآن الكريم فيأتیان بأدلة الموافقين لوجوده في القرآن والمخالفين له و كذلك نستخلص من آرائها ما بدا لنا أفضل وأثيق فوائد بالقرآن الكريم. ونذكر في الختام أهم ما يترتب على هذا البحث من فوائد لمعرفة لغة القرآن، فإنّ معرفة اللغة أصل لمعرفة فصاحة الكلمة وفصاحة الكلمة أصل لفصاحة الكلام وفصاحة الكلام أصل من أصول البلاغة التي بها تتحقق معرفة الإعجاز البياني لذكر الله الحكيم. وإليكم الآن المفردات الرئيسية، ثمّ مقدّمة البحث وبعدها صميم البحث في قسمين: قسم حول الترادف في اللغة العربية و قسم حول الترادف في القرآن الكريم. المفردات الرئيسية: الترادف، شبه الترادف، الفروق اللغوية، سبعة أحرف

المقدّمة

إنّ البحث عن مفردات اللغة العربية بحث قد شغل بال اللغويين القدامى والمعاصرين ومن المعنيين بهذا الموضوع من اللغويين القدامى المثبتين للترادف في اللغة العربية أو المنكرين نذكر ابن الأعرابي (م ٢٢٣هـ)، وتغلب (م ٢٩١هـ) وابن الانباري (م ٣٢٨هـ) وغيرهم ممن يأتي ذكرهم في القسم الأوّل من المقال (المنجّد، محمد، الترادف في القرآن الكريم، صص ٢٧-٦٩).

ومن المعاصرين نسّمى صبحي صالح، ومحمد الطاهر بن عاشور، وحاكم مالك الزبيدي وغيرهم ممن يأتي ذكرهم في القسم الأوّل من المقال.

وأما الترادف في القرآن الكريم فهو موضوع قد اعتنى به اللغويون والعلماء المتقدّمون من أمثال الراغب الاصفهاني (م ٤٠٢هـ) وجلال الدّين السيوطي (م ٩١١هـ)، ويدر الدين

الزركشى (م ٧٩٤هـ)، وغيرهم ممن يأتي ذكرهم في القسم المذكور (المرجع نفسه، صص ١٠٩-١٢٠).

ولا بأس بأن نشير إلى ما يؤوله نور الدين المنجّد من جهود في هذا المضمار في كتابه "الترادف في القرآن الكريم" فقد أتى بسابقة البحث منذ أقدم العصور الإسلامية حتّى العصر الحاضر وأشار إلى موجز من آراء اللسانيين الغربيين، ولكنّه مع جهوده المشكورة اكتفى بمقدّمات حول الترادف في القرآن الكريم ولم يدخل في

البحث المفصّل عن الترادفات في القرآن على ما هو المترقّب من هذا الأثر ولم يأت إلا ببعض النماذج من الألفاظ المترادفة (أو على رأينا الألفاظ المشابهة للمترادفات) في القرآن، ولم يمس على تأليف الكتاب زمان مديد حتّى شاء الله سبحانه أن يوفّق أحد الباحثين لهذا المقال (د.سيد علي ميرلوحى) لتفصيل ما أجمله المؤلف في كتاب سمّاه: "ترادف در قرآن كريم"

"الترادف في القرآن الكريم" تلبية لدعوة مركز الثقافة والمعارف القرآنية في قم المقدّسة، لتأليف كتاب حول المترادفات في القرآن وأرجو أن يكون جهدي في تأليف الترادف في القرآن مكملًا لجهود الأستاذ نور الدين المنجّد.

وبعد هذه المقدّمة القصيرة تأتي بنصّ المقال في القسمين:

القسم الأوّل: الترادف في اللغة

العربية

إنّ البحث عن الترادف في اللغة العربية مقدّمة للبحث عن الترادف في القرآن الكريم. لذلك لا يسع المجال لتفصيل الموضوع بل تأتي بموجز لآراء اللغويين القدامى والمعاصرين في المجالات التالية:

١. الترادف في اللغة
٢. الترادف في مصطلح علماء اللغة
٣. آراء القدماء حول الترادف

٤. آراء المعاصرين

الترادف في اللغة

اصل الترادف: الرَّدْف ، الرَّدْف: وهو ما يتبع الشيء. والترادف الشيء تَبَع بعضه بعضاً (لسان العرب، ج١١، ص١٢-١٤). وجاء في معجم مقاييس اللغة (ج٢، ص٥٠٢): الرِّاء والدال والفاء أصل واحد يدل على إِتِّباع الشيء فالترادف: التتابع.

الترادف في مصطلح علماء اللغة

لعلَّ أوَّل من أشار إلى ظاهرة الترادف هو سيبويه. عندما قَسَم علاقة الألفاظ بالمعاني إلى ثلاثة أقسام: ١- اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيتين، ٢- اتِّفاق اللفظين واختلاف المعنيتين و ٣- اختلاف اللفظين والمعنى واحد وهو الترادف (الكتاب سيبويه، ج١، ص٧-٨ نقلًا عن المنجّد، المرجع نفسه، ص٢٠). ويعزو حاكم مالك الزيادي مصطلح الترادف إلى أبي العباس ثعلب (الترادف في اللغة، ص٢٤ نقلًا عن المنجّد، المرجع نفسه، ص٣١). ويقول نورالدين المنجّد: «والَّذي نجده أنّ أوَّل من ذكر الترادف صراحة هو علي بن عيسى الرِّماني» (المنجّد، المرجع نفسه).

وأما اللغويون المعاصرون فقد اتَّبع بعضهم منهج المتقدمين واتَّخذ تعريف التهانوي في كَشَاف اصطلاحات الفنون معياراً لمفهوم الترادف، إذ قال: «الترادف عند أهل العربية والأصول والميزان هو توارد لفظين مفردين أو ألفاظ كذلك في الدلالة على الانفراد بحسب أصل الوضع على معنى واحد» (التهانوي، محمد علي، كَشَاف اصطلاحات الفنون، ج١، ص٤٠٦).

هو أول من أنكر وجود الترادف في اللغة وتابعه في نفي الترادف تلميذه ابو العباس ثعلب (م٢٩١هـ)، فقد اعتقد بأن كل ما يظن من المترادفات فهو من المتباينات التي تتباين بالصفات كما في الانسان والبشر بأن الأول موضوع له باعتبار النسيان، أو باعتبار أنه يؤنس، والثاني باعتبار أنه بادي البشرة (المنجّد، المرجع نفسه، ص٢٩ والمزهر، ج١، ص٤٠٢). وممّن تابع ابن الأعرابي أيضاً ابن الأنباري (م٢٢١هـ) وابن فارس (م٢٩٥هـ) وابن درستويه (م٢٩٥هـ)، وأبو هلال العسكري (م٢٩٥هـ) (السيوطي، جلال الدين، المزهر، ج١، ص٤٠٠-٤٠١ ف نقلًا عن المنجّد، صص٤٠-٤٥).

المثبتون للترادف:

يرى بعضهم أنّ الترادف أمر مسلم به ولا حاجة للناس في إثباته، فمن هؤلاء أبو يزيد الأنصاري الذي جمع أمثلة كثيرة من المترادفات (ابراهيم السيد، أبو زيد الأنصاري وأثره في دراسة اللغة، ص١٥٢، نقلًا عن المرجع نفسه، ص٥٥).

وبعضهم ناقش جواز الترادف وأتى بشواهد لوقوع الترادف من هؤلاء: ابن جنّي (م٢٩٢هـ) واستاذة أبو علي فارسي (م٢٧٧هـ)، وابن الأثير (م٦٠٦هـ) (المنجّد، المرجع نفسه، صص٥٥-٥٧).

القسم الثاني: الترادف في**القرآن الكريم**

المخالفون لوجود الترادف في القرآن الكريم
تباينت اتِّجاهات مُنكري الترادف من المشتغلين بالقرآن وعلومه، واختلقت

ومنهم من سار على نهج اللغويين القدماء في تعريف الترادف ورأى أنه أمر لا يحتاج إلى كبير عناء أو تمحيص، فذكره من أقرب السبل، فقال مثلاً هو ما اختلف لفظه واتَّفَق معناه، أو هو إطلاق عدّة كلمات على مدلول واحد» (رمضان عبد التواب، فصول في فقه اللغة العربية، ص٢٠٩ وإميل يعقوب، فقه اللغة العربية وخصائصها، ص١٧٢، نقلًا عن المنجّد، الترادف في القرآن الكريم، ص٣٢).

وكفى وأثر فريق منهم أن يضع للترادف تعريفاً من عند نفسه، وقال: «أختار أن أحدّ الترادف بأنه لفظ مفرد دالّ بالوضع على معنى قد دلّ عليه بالوضع لفظ آخر مفرد يُخالفه في بعض حروفه الموضوع عليها بحيث تنطق به قبائل العرب كلّها إذا شاءت، أو ألفاظ مفردة كذلك بشرط استقلال تلك المفردات في الاستعمال وفي الدلالة» (محمد الطاهر بن عاشور، الترادف في اللغة العربية، مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة، ج١٩٣٧، م٤، صص٢٤١-٢٦٨).

وقد وضع بعضهم (أي اللغويون المعاصرون) شروطاً للترادف هي بالقول المجل: ١- الاتحاد العام في المعنى ٢- الاتحاد في البيئة اللغوية ٣- الاتحاد في العصر- أن لا يكون أحد اللفظين نتيجة لتطور صوتي حدث في الآخر (أنيس، إبراهيم، دلالة الألفاظ، ص٢١٢، نقلًا عن المنجّد، ص٢٥).

آراء القدماء في ردّ الترادف أو**قبوله****المنكرون:**

ربما يكون ابن الأعرابي (م٢٣١هـ)

ليس بينها ترادف ثم بعد صفحات معدودة يناقض نفسه، إذ يقول: «وقد تنازع السلف في معاني القرآن على النحو الذي عبّر عنه بظاهرة واختلاف التنوع لا اختلاف التضاد وقلنا إنّ هذا الضرب من الاختلاف كان مفيداً، وليس بذي ضرر، فهو من قبيل المترادفات» (منهج أهل السنة في تفسير القرآن الكريم، ص ٢٢٠، نقلًا عن المنجد، المرجع نفسه، ص ١٢٥).

المثبتون لترادف في القرآن الكريم:

كان الترادف وإثباته عند المشتغلين بعلوم القرآن الكريم غير مقصود لذاته بل كان وسيلة عندهم في الحديث عن بعض علوم القرآن وإعجازها، فقد أثبتوا الترادف في القرآن الكريم مستدلّين أو مؤيدين رأيهم بالمسائل التالية:

١. المسألة الأولى: تأويل "سبعة أحرف" في الحديث النبوي: إنّ هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف... (الخوئي، أبوالقاسم، البيان في تفسير القرآن، ص ١٧٥. صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف، نقلًا عن المنجد، المرجع نفسه، ص ١١٠). تأويل هذا الحديث بالترادف. أكثر أهل العلم على أنّ الترادف هو المقصود بالأحرف السبعة يقول الزركشي موضحاً معناها هي: «سبعة أوجه من المعاني المتّفحة بالألفاظ المختلفة، نحو: أقبِل، هلمّ، تعال، عجل، أسرع، أنظر، أحر ونحوه... (زرکشی، البرهان في علوم القرآن، ج ١، ص ٢٢٦) وقد ذكر العلماء في تأويل هذا الحديث وجوها تبلغ إلى

منه، ولهذا وزعت بحسب المقامات، فلا يقوم مُرادفها فيما استعمل فيه مقام الآخر، فعلى المُسرّ مراعاة الاستعمالات، والقطع بعدم الترادف ما أمكن. ويذكر أمثلة لهذا النوع، وميّز بين معانيها كالخوف والخشية والشح والبخل والسبيل والطريق وجاء وأتى (بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج ٤، ص ٧٨، والمنجد، المرجع نفسه، ص ١٢٢).

وأما الفريق الثالث فقد أنكر الترادف إنكاراً تاماً، ولعلّ أول من بدأ هذا المنهج ابن الأعرابي ثمّ تبعه المنكرون من بعد فهذا الراغب الإصفهاني يذكر في مقدّمة كتابه "المفردات في غريب القرآن" إنكاره الترادف في كتاب الله فيقول: «وأنتع هذا الكتاب إن شاء الله تعالى ونسأ الأجل بكتاب نبيء عن التحقيق لألفاظ المترادفة على المعنى الواحد ومايينها من الفروق الغامضة فبذلك يعرف اختصاص كلّ خبر بلفظ من الألفاظ المترادفة دون غيره من أخواته، نحو ذكره القلب مرّة، والفؤاد مرّة، والصدر مرّة (الراغب الإصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص ٦، والمنجد، المرجع نفسه، ص ١٢٢).

أما الفريق الرابع وهم الذين وقعوا في حيرة من أمر الترادف في القرآن الكريم. فأنكر الترادف مع المنكرين، ثمّ أثبته مع المثبتين. يقول الدكتور صبري المتولّي في حديثه عن إعجاز ألفاظ القرآن: «هي ألفاظ مختارة منتقاة توافرت فيها كلّ شروط الفصاحة موضوعة بحكمة بالغة

أراؤهم وتفاوتت في إنكار الترادف في القرآن الكريم. فكان منهم من أفرته لغة وأنكره فصاحة وعدوبة، وكان منهم من تحرّج من الترادف في بعض ألفاظ القرآن الكريم، وأثر القطع بعدم الترادف ما أمكن، وكان منهم من أنكر الترادف صراحة في العربية عامة والقرآن خاصّة، ومنهم من وقع في حيرة من أمره، فمرّة أثبته مع المثبتين وأخرى أنكر مع المنكرين. فكانوا على أربع فرق:

١. فريق يقرّ الترادف لغة ويُنكره فصاحة
 ٢. فريق يتحرّج من القول بالترادف في بعض ألفاظ القرآن الكريم
 ٣. فريق أنكر الترادف في العربية عامّة وفي القرآن خاصّة
 ٤. فريق تردّد بين المثبتين والمنكرين
- أما الفريق الأوّل فإنّه يرى أن ثمة ألفاظاً أحسن من ألفاظ ومعناها في اللغة واحد وبهذا فهو لا يُنكر الترادف وإنما يؤثر بعض الألفاظ على بعض لخصّة أو عدوبة. يقول البارزي في هذا: «اعلم أنّ المعنى الواحد قد يخبر عنه بألفاظ بعضها أحسن من بعض ... ومنها تتلو في قوله تعالى: ﴿وما كنّت تتلو من قبله من كتاب﴾ [العنكبوت: ٤] أحسن من التعبير "تقرأ" ومنها "لا ريب" في قوله تعالى ﴿ذلك الكتاب لا ريب فيه﴾ [البقرة: ٢] أحسن من لاشكّ (الإتيان للسيوطي، ج ٤، ص ٢٢).

أما الفريق الثاني، فكان يتحرّج من القول بترادف بعض الألفاظ في كتاب الله، ويؤثر الفروق بين ما يظنّ من المترادفات يذكر الزركشي قاعدة في ألفاظ يظنّ بها الترادف وليست

الأولى و الثانية ولا وجه لعددهما من أنواع المتشابهة.

نتيجة البحث

بالنظر إلى ما لخصنا من آراء العلماء واللغويين حول الترادف في اللغة العربية عامة و في القرآن الكريم خاصة يجب القول بأن الترادف-ولو افترضنا تحققه في اللغة العربية- لا تحقق له في القرآن الكريم؛ ذلك الكتاب الذي لا يقدر الإنس والجنّ على أن يأتيوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً؛ لأنّ كلّ لفظ من ألفاظ القرآن في موقعه الخاص وظروفها المحيطة به وملابساته الكلامية والمعنوية حوله لا يمكن أن يخلفه لفظ آخر مما يشابهه معنى؛ مثال ذلك انبجست وانفجرت وقرأ و نتلو وعشرات الألفاظ الأخرى الموظفة لمعناها الخاص بها، وكانت أحد أسباب الجمال والروعة والبهاء والبلاغة والفصاحة التي تحيط بها. فالألفاظ التي تتراثر لنا في القرآن الكريم أنها مترادفة. يجب أن نسميها شبه مترادفة. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

سور أخرى. والمنكرون للترادف في القرآن الكريم قد بينوا فروقا دقيقة بين هذه الألفاظ المشبهة بالمترادفة في القرآن الكريم (الراغب الإصفهاني، المفردات في غريب القرآن؛ سيد علي ميرلوجي، ترادف در قرآن كريم و أبو هلال العسكري، معجم فروق اللغوية).

المسألة الثالثة: النظر إلى الترادف في القرآن الكريم على أنه أحد أنواع التشابهات في القرآن، ويذكر الزركشي من أنواع المتشابهة إبدال كلمة بأخرى على سبيل المثال قوله تعالى ﴿مَا أَلْفِينَا﴾ في سورة البقرة، آية ١٧٠ و ﴿مَا وَجَدْنَا﴾ في سورة لقمان آية ٢١؛ و ﴿لئن رُددتْ إلى رَبِّي﴾ في سورة كهف، آية ٢٦ و ﴿لئن رُجعتْ﴾ في سورة فصلت آية ٥٠ (الزركشي، المرجع نفسه، ج ١، ص ١١٢، نقلنا عن المنجد، المرجع نفسه، ص ١١٨). ومثلها ألفاظ أخرى وردت مختلفة اللفظ ومتّحدة المعنى والباحثان يعتقدان بأن هذه المسألة هي في الحقيقة من فروع المسألة

٢٥ وجهاً (الخوئي، المرجع نفسه).
المسألة الثانية: الترادف من حيث التوكيد فإن في الترادف نوعا من توكيد المعنى والمقصود من التوكيد هنا التوكيد اللفظي، وهو عبارة عن تقرير معنى الأول بلفظه أو مرادفه نحو قوله تعالى: ﴿ضَيْقاً حَرَجاً﴾ [الانعام: ١٢٥]، وقوله تعالى ﴿قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا﴾ [الحديد: ١٣] على أن يكون "وراء" اسم فعل بمعنى "ارجعوا" (تفسير التحرير والتوير، ج ١، ص ١١٦، نقلنا عن المنجد، المرجع نفسه، ص ١١٦). ويلحق بالترادف من حيث التوكيد في القرآن الكريم عطف أحد المترادفين على الآخر أو ما هو قريب منه في المعنى والتصد منه التأكيد، نحو قوله تعالى: ﴿فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا﴾ [آل عمران: ٥٦] ونحو ظلم وهضم في (سورته، آية ٢٠)، و ﴿لاتخاف ذرّكاً ولا تخشى﴾ [طه: ٧٧]، و ﴿عبس وبسر﴾ [المدثر: ٢٢] وألفاظ أخرى في

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

- ابن عاشور، محمد الطاهر: الترادف في اللغة، مجلّة مجمع اللغة العربية، القاهرة، المطبعة الأميرية، ١٣٥٦هـ.
ابن فارس أحمد: معجم مقاييس اللغة، ج ٦، قمريل مكتب الإعلام الإسلامي، ١٤٠٤هـ.
ابن منظور، محمد: لسان العرب، ج ١١، مصر، الدار المصرية للتأليف والترجمة، د.ت.
الخوئي، أبو القاسم: البيان في تفسير القرآن، بيروت، دار الزهراء، ١٤٠٨هـ.
الراغب الإصفهاني: المفردات في غريب القرآن، تحقيق عدنان داوودي، دمشق، الدار الشامية، ١٣٧٥هـ.
السيوطي، جلال الدين: الإتيان في علوم القرآن، ج ١-٤، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، مكتبة المشهد الحسيني، ١٣٨٧هـ.
المنجد، نور الدين: الترادف في القرآن الكريم، دمشق، دار الفكر، ١٤١٧هـ.
ميرلوجي، سيد علي: ترادف در قرآن كريم (= الترادف في القرآن الكريم)، قم، مركز فرهنگ و معارف قرآن (مركز الثقافة والمعارف القرآنية)، ١٣٩٢هـ. ش. ١٤٣٦هـ. ق.